

قراءة لكتاب الباحث ألم سقد تسفاي

إرتريا: من الفيدرالية الى الإلحاق والثورة

1962 – 1956



بقلم: السفير عبده هيحي

• جمعني بعد مدة طويلة مناسبة إحتفالية بالكاتب والباحث الاستاذ/ ألم سقد تسفاي. سألته عن كتابه الجديد، فقال لي "انه بصدد وضع اللمسات الاخيرة فيه تمهيدا لإرساله الى المطبعة". ثم أردف قائلا "لقد وضعت إسمك ضمن مجموعة ممن اخترتهم لتقييم الكتاب في مناسبة تدشينه، فاذا قبلت القيام بذلك سوف أعطيك الكتاب في فلاش". فوجئت بطلبه هذا، ومع ذلك قبلت بعرضه باحترام، وشكرته على ذلك، وقلت له "إنشاء الله سوف أكون عند حسن ظنك". وها هو الكتاب قد رأى النور اليوم، ونحتفل جميعا بمناسبة تدشينه في هذه القاعة. وفي هذه السانحة، أهنئ المؤلف وحرمة السيدة/ أبرهت وإبنة ماتياس، وأخص بالذكر مركز البحوث والتوثيق التابع للجبهة الشعبية للديمقراطية والعدالة وكذلك دار الأمانة للنشر وكل الذين وقفوا معه وقدموا له العون لإنجازه وإصداره في حلتة البديعة هذه. ومن جانبي، سوف أقدم في هذه المناسبة رأيي حول الكتاب وتقييمي له . أرجو ان أكون موفقا فيما أقول.

• "ارتريا: من الفيدرالية الى الإلحاق والثورة" هو كتاب يحكي ما حدث في ارتريا في الفترة من عام 1956 الى عام 1962 أثناء الاتحاد الفيدرالي بين ارتريا وإثيوبيا، والكيفية التي تم بها إلغاء هذا الاتحاد وإلحاق ارتريا بإثيوبيا، ثم ما ترتب على ذلك من تداعيات وإعلان للكفاح المسلح. يحتوي الكتاب على 743 صفحة، ومقسم الى 26 باب، ويضم زهاء 150 صورة تعكس في مجملها تلك الحقبة الزمنية. وهو مليء بمعلومات غزيرة وقيمة. حيث نجد أن الكاتب ينثر هذه المعلومات كالبنور في كل صفحة من صفحات الكتاب، ثم يعود ثانية الى ما نثره ويربط هذا بذاك في الصفحات اللاحقة.

• الاحداث المذكورة في هذا الكتاب كثيرة وتفصيلية. من جانبي اخترت أن لا أتطرق الى تفاصيل وحيثيات هذه الاحداث، ولا إلى الشخصيات المؤثرة في مجرياتها، او الى مواقع الاحداث وتاريخ وقوعها وما خلفته من آثار سلباً كان او إيجاباً. جلّ اهتمامي سينصب على أهم المواضيع التي يثيرها الكتاب، وما يناقشه المؤلف بعمق، وما يتوصل اليه من إستنتاجات وخلصات غاية في الأهمية. حيث ان الحقائق التاريخية المذكورة في هذا الكتاب، هي محطات هامة ومنعطفات مهمة في تاريخ ارتريا الحديث. ولهذا يتوجب التوقف عندها طويلاً، ومناقشتها بإسهاب وعمق، وذلك بغرض فهم ما افضت اليه من نتائج غيرت مجرى تاريخ هذا البلد. لقد بذل المؤلف جُلّ ما يستطيع من جهد بغية جعل تناوله للأحداث متوازناً، وتحليلاته حيادية قدر المستطاع. لذلك نجده يناقش المواضيع التي يثيرها بالنظر اليها من مختلف الزوايا، ويتطرق الى خلفياتها وتفصيلها، ويدعم استنتاجاته بوثائق عديدة ثم يحللها ويعلق عليها من خلال ربطها بما أفرزته الاحداث لاحقا من تداعيات سلباً كانت ام إيجاباً. وأجزم القول بأن ذلك يعد أحد أهم ركائز الكتاب

ومكامن قوته. وقد نوه المؤلف الى ذلك في مقدمة كتابه الاول " لن نفرق " حين قال:

" عند كتابة التاريخ ليس هناك من خطوط تفصل بين ما هو جيد وما هو رديء، او ما هو إيجابي وما هو سلبي . فالواجب والمسؤولية تحتم على الباحث ان يتمعن في تمحيص ودراسة كافة الأدلة والقرائن كما وقعت، بعيدا عن العواطف والمشاعر الضيقة".

• لم يئأ المؤلف عن هذه القناعة في هذا الكتاب ايضا، حيث عمد على سرد الاحداث كما وقعت، ووفق تسلسلها الزمني. وقد اعتمد في سرده على وثائق كثيرة، وكُتِبَ عديدة، ومقابلات أجراها بنفسه او أجريت من قبل آخرين مع شخصيات كان لها باع في مجرى تطورات أوضاع تلك الحقبة الزمنية. في تقديري إن الاستناد على وثائق تاريخية متعددة المصادر، ثم ربط بعضها ببعض، وتحليل كنهها بعمق، أضفى على الكتاب قيمة كبيرة، وجعله وثيقة تاريخية حقيقية يُعتمد عليها.

• قصة هذا الكتاب تتمحور بالدرجة الاولى في لاعبين رئيسيين هما الشعب الارترتي ونضاله من جهة، والمستعمر الاثيوبي وأعدائه الإنجليز والامريكان من جهة اخرى. الشعب الارترتي كان يناضل في سبيل تثبيت حقوقه في المحافظة على مقومات الاتحاد الفيدرالي، واحترام إرادته في تقرير مصيره بنفسه. والمستعمر الاثيوبي وبدعم من شركائه الإنجليز والامريكان دأب منذ الوهلة الاولى على العمل

بكل ما له من إمكانيات على إلغاء الاتحاد الفيدرالي، ثم إلحاق ارتريا باثيوبيا عنوة وبغير حق. استمر هذا الصراع بين الطرفين لعشرة أعوام متواصلة. وانتهى بالحق ارتريا قسرا الى اثيوبيا. يشرح لنا المؤلف كيف ولماذا حدث ذلك. ويتطرق الى الأسباب الذاتية والموضوعية التي أدت بالمقاومة الوطنية الى الضعف والوهن، ويشرح حالة الاحتقان وضبابية الرؤية التي كانت سائدة آنذاك والتي حالت دون توحيد صفوف المقاومة. ثم يتناول بالشرح والتفصيل سياسة القمع والارهاب وكل انواع الدسائس والفتن التي مارسها المستعمر. ويوضح الى أي مدى كانت المؤامرة كبيرة وسياسة القمع والارهاب قاسية وعنيفة. ويتحدث مطولا عن الأدوات والحيل وكل أنواع الخداع والتضليل التي أستخدمت لتمير مخطط إلغاء الاتحاد الفيدرالي ثم إلحاق ارتريا باثيوبيا. ويتطرق المؤلف الى التآمر الدولي والكيفية التي أدار بها الأمريكان والانجليز اللعبة، والى أي مدى كان الدهاء الامريكي والإنجليزي خارقا وفوق طاقة وإستيعاب الساسة الارتريين آنذاك.

• يسرد لنا المؤلف بعد ذلك قصة المقاومة الوطنية والنضال ضد المستعمر الاثيوبي وشركائه. وينوه منذ الوهلة الاولى الى أهمية تقييم تلك النضالات، وآفاق تطورها ونماؤها، وقدرتها على التصدي ومقارعة الأعداء، أخذاً بعين الاعتبار الأجواء التي كانت سائدة آنذاك، ودرجة الوعي الوطني والسياسي لدى النخبة وعامة الشعب، وفوق ذلك الى ميزان القوى بينها من جهة، وبين المستعمر الاثيوبي وشركائه من جهة أخرى. ثم يتناول المؤلف نهج المقاومة ومساراتها، وما اعترى هذا النهج من ضعف في الأداء والتنظيم، وما واجه تحركها ونشاطها من

عنف وقمع، وإعتقال وقتل لا يعرف الرحمة ولا الشفقة. ويشرح لنا في خضم حديثه وتقييمه للمقاومة المنظمة، أهم الأحزاب والتنظيمات التي برزت أذاك مثل حزب الرابطة الإسلامية، حركة تحرير إرتريا، حزب إرتريا للارتريين، حزب إرتريا الحرة، وكذلك إضرابات الاتحادات والنقابات العمالية، ومظاهرات الطلبة وغيرها. ويشيد المؤلف بنضالات المقاومة الوطنية وبشجاعة مواقفها وتضحياتها ويخص بالذكر الشخصيات الوطنية التي تصدرت النضال وكل الوطنيين الأحرار الذين رفضوا الخنوع والخضوع، ووقفوا في وجه المستعمر، وواجهوا جبروته وغطرسته، ووهبوا أرواحهم فداء لقضية آمنوا بها. ويجزم في خلاصة حديثه الى أن استقلال ارتريا في عام 1991 هو النتيجة الطبيعية والمنطقية لتراكم كل النضالات السياسية والمقاومة المسلحة التي خاضها الشعب الارتري على مدى نصف قرن من الزمان. ويخلص في الباب ٢١ الى القول:

" تاريخ نضال الشعب الارتري وإنجازاته هو محصلة تجربة حركة تحرير ارتريا وأمثالها في مرحلة النضال السلمي، ونضالات جبهة التحرير الارترية والجبهة الشعبية لتحرير إرتريا في مرحلة الكفاح المسلح. فلا ينبغي، بل لا يجوز النظر الى تجربة حركة المقاومة الارترية الممتدة من أربعينيات القرن الماضي الى يوم الاستقلال بشكل مجزأ وكلّ على حدّ، لأن هذه التجربة بكلّيتها هي تجربة واحدة لا تقبل التجزئة . كما أن تقييمها لا ينبغي أن يتم إلا وفق ما كان لها من دور وإسهام، وما اتسمت به من ضعف و إخفاق. عندها فقط ستكون زادا يغذى تجربة الاجيال القادمة"

• عند قراءة هذا الكتاب، توقفت كثيرا بل تعمقت أكثر بحثا عن الإجابة على جملة من الأسئلة هي في غاية الأهمية. وهي : كيف استطاع

المستعمر الاثيوبي وشركاؤه الإنجليز والامريكان إلغاء الاتحاد الفيدرالي الذي أقرته الامم المتحدة؟ وما الذي فعله المستعمر الاثيوبي وشركاؤه حتى يتمكنوا من إلحاق ارتريا بإثيوبيا في وضح النهار وعلى مسمع ومرئ العالم؟ وكيف كانت إستراتيجيتهم وبماذا تميزت سياساتهم؟ يجيب المؤلف على هذه الأسئلة من خلال دراسة الاستراتيجية التي أتبعت أولاً، ثم السياسة والنهج الذي سار عليه المستعمر واعوانه للوصول الى أهدافهم. إذ يقول إن تطبيق إستراتيجية الإلحاق كان بروية وعلى مراحل، حيث استغرق تنفيذها عشرة أعوام متواصلة. ركزت هذه الاستراتيجية في بادئ الأمر على التشكيك في جدوى الاتحاد الفيدرالي، وأقدمت في المرحلة الثانية على تهميش كافة مقوماته القانونية، ثم سعت الى إفراغه تماما من الأسس والمبادئ التي يقوم عليها . أما السياسة اتسمت بالدهاء والمكر، وإختلاق الفرقة بين أبناء الشعب الواحد، وممارسة كل أنواع الذل والهوان، والعنف والارهاب. وارتكزت هذه الأخيرة على سياسة "فرق تسد" وتشتيت إهتمامات الشعب، وإلهائه بصغائر الأمور ثم تقسيمه عموديا أي من الأعلى الى الأسفل. ويشرح المؤلف بإسهاب كيف تقاسم الشركاء الثلاثة الأدوار، وكيف استطاعوا تنفيذ الاستراتيجية وسياسة "فرق تسد" على ارض الواقع. حيث أنيطت بالإنجليز مهمة النصح والإرشاد في كيفية تأجيج الانقسامات والتشرذمات فى أوساط الشعب، وإضعاف تجانسه ووحدته بتطبيق سياسة "فرق تسد". وكلفَ الامريكان بمهمة إفراغ النظام الفيدرالي من مقوماته القانونية، والدفاع عن إنتهاكات اثيوبيا

في الامم المتحدة ومجلس الأمن الدولي وكافة المحافل الدولية (تماما كما يفعلون اليوم)، وتقديم دعم مالي يستمر لخمسة عشر عاما، وقد قدر هذا الدعم في بداية الخمسينيات بـ 10 مليون دولار سنويا ، ثم تضاعف ليصل في عام 1959 الى 66 مليون دولار سنويا. فضلا عن ذلك وافق الأمريكان على تدريب وتسليح 40 ألف من الجيش الاثيوبي تسليحا حديثا يؤهله لقمع اي تمرد او انتفاضة يقوم بها الشعب في ارتريا. أما اثيوبيا فكلفت بلعب الدور الرئيسي في تنفيذ سياسة "فرق تسد" على أرض الواقع. ثم يشرح لنا المؤلف وبإسهاب وبأدلة ووثائق دامغة عملية تطبيق سياسة "فرق تسد"، وما أفضت اليه من تشرذمات وإحتقان وتناقضات ونزاعات بين الشعب الواحد. ويمكن تلخيص ما أورده المؤلف على النحو التالي:

مسلمون ومسيحيون

- منذ الوهلة الاولى حاول المستعمر الاثيوبي وأعوانه إختلاق فتنة طائفية بين المسلمين والمسيحيين من خلال ضرب التسامح الديني بين الطائفتين المستمر منذ أمد طويل. حيث أقحموا الدين عنوة في السياسة، وعملوا على إستخدامه كأداة سياسية. فافتعلوا من لا شيء فتنة طائفية ، وحرصوا المسيحيين والمسلمين على حد سواء على الكراهية والبغضاء ثم العنف والاقنتال في شوارع أسمرا وكرن. ورغم كل ما بذلوه لم يفلحوا في توسيع دائرة الفتنة الطائفية حيث تنبه الشعب الى خطورة ما كان يرمي اليه الأعداء، فاجتمع كبار رجال الدين والأعيان والوجهاء من كلا الطائفتين في أسمرا، وعملوا على احتواء وإخماد الفتنة قبل أن تستفحل وتتوسع دائرتها. ولو قدر الله وتفاقت تلك الفتنة الطائفية لكانت عواقبها وخيمة للغاية، ولكانت آثارها موجودة حتى يومنا هذا.

حزب الرابطة الاسلامية

* كان هذا الحزب من أكبر الأحزاب السياسية آنذاك . وكان يدعو منذ تأسيسه الى إستقلال ارتريا ويرفض كل انواع المساومة في الاستقلال. حين أدركوا بأن دائرة مناصريه تتوسع، وأنه بدأ يستقطب المزيد من المواطنين ويزداد نشاطا في عملية التوعية والتنظيم بين كافة أوساط الشعب، سارعوا الى خلق خلافات حادة بين قياداته الى أن تمكنوا من شق صفوفه وتقسيمه الى حزبين . الأول يناضل في سبيل نيل ارتريا الاستقلال، والثاني يدعو الى إلحاق المنخفضات الغربية الى السودان. ثم قسموا الأول مرة ثانية الى إثنين، وأسموا الثالث حزب الرابطة الاسلامية لمنطقة مصوع. وأخيرا تم تقسيم حزب الرابطة الاسلامية المناوئ للاستعمار والداعي الى الاستقلال الى أربعة احزاب متنافرة ومتناقضة ولا حول لها ولا قوة.

حزب ارتريا للارتريين

• تأسس هذا الحزب في المرتفعات. وكان من دعاة الاستقلال. استغل الإثيوبيون الخلاف الذي نشب بين مؤسس الحزب وإبنه حول سياسة الحزب. فاخترقوا الحزب واستقطبوا بعض أعضائه ثم عملوا على تقسيمه الى حزبين بشراء ذمم أعضائه الى أن إضمحل وأصبح في وقت وجيز في خبر كان.

الكنيسة الأرثوذكسية

• منذ الوهلة الاولى احتضن المستعمر الاثيوبي الكنيسة الأرثوذكسية واستخدمها كأداة سياسية لتمرير ما كان يرمي اليه من مخطط. فناصرت الكنيسة مشروع

الوحدة مع إثيوبيا وتمردت على الاتحاد الفيدرالي، وعادت الاستقلال جملة وتفصيلاً. وحين أيقن الإثيوبيون بأن أداءها ونشاطها قد تباطأ ولم يعد يلبي متطلباتهم المتسارعة، أسسوا وتحت مظلتها ما أسموه بـ "محبر هواريات" وهو تجمع شبابي كنسي يتحرك باسم الكنيسة ويمتلك المال والسلطة، وصلاحيات مطلقة، ويمارس العنف والارهاب دون وازع من ضمير. وأصبح هذا التجمع ذا سلطة ونفوذاً، وأداة طيعة يُكبر ويُهلل لصالح إثيوبيا ويعمل ليل نهار على إلغاء الاتحاد الفيدرالي وإلحاق ارتريا بإثيوبيا. وأضحى هذا التجمع النشاز قوة ضاربة تتحرك في وضح النهار وتزرع الفتنة والبغضاء وتعيث الخراب والدمار في كل الانحاء. فحتى الكنيسة الأرثوذكسية التي اعتمد عليها الإثيوبيون في بادئ الأمر، ثم انقلبوا عليها وأبعدوا قياداتها الدينية التقليدية، وجاءوا بإسمها وتحت مظلتها بقيادات جديدة هي أكثر ولاءً وأكثر عنفاً وأكثر خدمةً لهم بغرض الوصول الى ما أرادوا الوصول اليه.

في المرتفعات

- قاموا بتأجيج كل انواع الخلافات والتناقضات بين السكان. حرضوا شباب "حزب أندنت" أي حزب الوحدة مع إثيوبيا على شبان حزب الرابطة الاسلامية ليشتبك الاثنان في معارك بالهراوات والحجارة في شوارع العاصمة أسمرا. وفي ذات الوقت حاولوا زرع الفتنة بين الجبرتي والمسيحيين الى درجة التصادم بالهراوات في كل من أسمرا ومندفرا. وفي ذات الوقت أججوا التعصب الاقليمي بين أقاليم حماسين واكلي قوزاي وسراي. وحرصوا المناطق والقرى المختلفة على التنافس والتصارع حول المناصب والمال والجاه كما فعلوا بين قرى إقليمي اقولقزاي وسراي، ثم اقموها في جدالات عقيمة ونزاعات مستمرة على قضايا الأرض والحدود والمراعي لتسود الاحقاد والكراهية فيما بينها.

في المنخفضات الغربية

قاموا بإثارة النزاعات القبلية والقروية في أقاليم القاش وبركا والساحل والتي كانت قد هدأت بالمصالحة والتوافق. ففي وقت وجيز أثاروا من جديد هذه الخلافات بين القبائل المختلفة وعملوا على تحريك وإفئعال النزاعات بين البني عامر والكوناما أولاً، ثم بين الهدندوا والبني عامر ثانية. واستفحلت هذه النزاعات في وقت وجيز الى درجة أن قامت هذه القبائل بالاصطدام والقيام بغزوات فيما بينها. وفي الساحل أججوا الخلاف والعداء بين التجري والشماقلي، وسارعوا الى إقحام الاعيان والمشايخ في النزاع ثم خلقوا أجواء ملبدة بالكراهية بين صفوف الشعب الواحد وأوصلوها الى مستوى الخصومة والعداء.

ظاهرة قطاع الطرق او الشفتا

قاموا باختلاق قطاع الطرق أي الشفتا في المرتفعات والمنخفضات على حد سواء، وجعلوا منها أداة طيعة تقوم بقطع الطرق والنهب والسلب ، وممارسة كل انواع الازلال والتفرقة بغية خلق فتنة وزرع الارهاب والخوف في قلوب الناس.

• إجمالاً، أقدم المستعمر الاثيوبي وشركائه خلال السنوات العشرة من الحكم الفيدرالي على إثارة كل انواع الخلافات والنزاعات في المجتمع الارتري الذي كان يعيش بسلام وأمان نسبي إبان الاستعمار الايطالي. إختلقوا الفتن والخصومات، وحرصوا على النعرات الطائفية والاقليمية والقبلية، وأججوا التناقضات بين القرى والضواحي، ودفَعوا بكل ما لديهم من إمكانيات على زرع روح الكراهية بين الناس، وإشترروا ذمم ضعفاء النفوس، وقاموا بإغرائهم بالسلطة والمناصب، والمال والجاه مقابل الخنوع والخضوع

لرغباتهم وإرادتهم. فضلا عن ذلك جردوا الاتحاد الفيدرالي بالتدريج من كافة مقوماته القانونية والمبادئ التي يقوم عليها، الى ان جعلوا مؤسساته الفيدرالية مؤسسات صورية لا حول لها ولا قوة. وفي نهاية المطاف تمكنوا من تحقيق مآربهم والوصول الى ما خططوا له، ألا وهو إلغاء الاتحاد الفيدرالي أولا، ثم إلحاق ارتريا قسرا وبغير حق بإثيوبيا. وصلوا الى غايتهم بخرق الاتفاق الدولي حول الاتحاد الفيدرالي وخلق فتنة بين الشعب الواحد وشراء ذمم ضعاف النفوس وتجنيدهم لتمرير مخططهم. تعليقا على ذلك كتب ألم سقد تسفاي في الباب الثالث تحت عنوان "إخفاقات في نضالات الشعب" يقول:

"احد أسباب تأجيج الخلافات بين الشعب كان مرده أن السواد الأعظم من القيادات السياسية التي برزت آنذاك، عوضا عن الاهتمام بتوعية الشعب، وإسداء النصح والإرشاد له، ثم قيادته وتوجيهه الى الطريق الصحيح والسوي، انصب جل وقت هذه القيادات وإهتماماتها على التنافس فيما بينها على السلطة والمناصب والجاه، وكذلك مسaire المستعمر لتحقيق مصالح ذاتية ضيقة. فاللهات وراء المصلحة الشخصية الضيقة أبعدا كليا عن روح المقاومة وأعمى بصيرتها"

• ثم يتناول المؤلف بعد ذلك الكثير من المواضيع الهامة من بينها الأوضاع السياسية والإقتصادية والأمنية المتردية في البلاد، الانتهاكات الممنهجة للعلاقة الفيدرالية، التدخلات المستمرة في مهام وسلطات البرلمان الارتري ثم المحكمة العليا، التلاعب بعمليات الانتخابات البرلمانية ونتائجها، والسيطرة التامة على مفاصل الدولة وخاصة بعد تردي الوضع الأمني نتيجة إستفحال ظاهرة قطاع

الطرق "الشفقتا". ثم يشرح الشكوى المقدمة من قبل زعماء ارتريا السياسيين الى الامم المتحدة، ومسرحية إنزال العلم الارتري وما تبع ذلك من إلغاء للاتحاد الفيدرالي. كل ذلك يسرده لنا بالاستناد على وثائق تاريخية هامة، وبالتطرق الى أحاديث شخصيات عاصرت تلك الفترة وأسهمت فيها إن إيجاباً او سلباً. ويجمل المؤلف حديثه بالخيارات التي كانت مطروحة امام الشعب الارتري حين وجد نفسه عاجزا أمام أعداء جردوه من كل شيء. ويخلص الى القول في الباب ١٧ تحت عنوان " الشعب بين الاستبداد والتحسر":

"حين بسط المستعمر الاثيوبي سلطته وسطوته على البلاد، وأيقن الجميع بأن الاستبداد سيكون سيد الموقف، انبرى المواطنون الأحرار الى البحث عن بدائل وخيارات جديدة وممكنه للاستمرار في النضال والمقاومة، ووقف البعض الآخر مذهولاً من هول الفاجعة، متحسرا حزينا ذليلا لا يعرف ما تخبئ له الأيام القادمة".

• ثم ينتقل المؤلف الى مرحلة الكفاح المسلح، ويتحدث عن قصة البدايات وما اعترها من مصاعب ومعوقات جمة. ويقيني أن ما رواه المؤلف من حقائق تاريخية عن تلك البدايات العسيرة، يعد بكل المقاييس مصدر فخر وإعتزاز لنا جميعا. حيث ان تأسيس جبهة التحرير الارترية وبدء الكفاح المسلح كان نقلة نوعية في تاريخ نضال الشعب الارتري من اجل حق تقرير المصير والاستقلال. إذ لم يكن في حينه بالأمر الهين مجرد التفكير بحمل السلاح في وجه الأعداء، ناهيك عن إعلان كفاح مسلح ومنظم لمواجهة العدو باللغة التي يفقهها. وما يجعل الأمر أكثر تعقيدا هو أن المؤسسين لم يكونوا يملكون شيئا إلا إيمانهم القوي بالقضية الوطنية، وشرعية مطالبهم، وقناعتهم التامة بأن "ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة". وحتى نستطيع فهم البدايات وتفاصيلها وما اعترها من مصاعب

وتحديات كثيرة، يشرح لنا المؤلف أجواء تلك المرحلة المعقدة وما اكتنفها من شُح في الامكانيات البشرية والمادية، فضلا عن صعوبة الحصول على السلاح والعتاد لمقارعة الأعداء. وفوق ذلك كله يوضح لنا كيف إقترنت بوصلة الكفاح المسلح بالحماس والعاطفة والاندفاع للنضال وإسترداد الحق المسلوب بقوة السلاح. وفي سياق الحديث عن البدايات يشرح لنا المؤلف وبإسهاب كيف اختمرت فكرة الكفاح المسلح، ومن كان مؤسسوا جبهة التحرير الارترية، والكيفية التي تم بها تجنيد المقاتلين والحصول على السلاح. ويروي عملية البحث عن قائد مؤهلٍ قادرٍ على قيادة المسيرة، ويشرح كيف توصل المؤسسون الى إختيار قائدٍ مقتدرٍ يتفق عليه الجميع. وهنا يتوقف الكاتب مطولا ليعرفنا بقائد الثورة الارترية حامد إدريس عواتي. ويتحدث عن دوره وتأثيره، وقدراته العسكرية وشخصيته العنيدة. ويوضح لنا بشفافية أدواره الايجابية منها والسلبية قبل بدء الكفاح المسلح. ويستند في ذلك على مقابلات أجراها بنفسه مع الرعيل الاول، ووثائق ومستندات تحصل عليها في أرشيف المستعمر الاثيوبي وأخرى وثنائق إيطالية وبريطانية. وفي حقيقة الأمر، إن ما سطره لنا المؤلف عن حياة قائد الثورة حامد إدريس عواتي جدير بالتقدير والاحترام حيث أضاف لنا الكثير من الحقائق كنا نجهلها ولا نعرف الا القليل جدا عنها. يعلق المؤلف في معرض حديثه عن سيرة حياة عواتي في الباب ٢٢ تحت عنوان "حامد إدريس عواتي" إذ يقول:

"إن شخصية مثل عواتي الذي قاد مسيرة النضال التحرري الارتري وإرتقى بها، لا يستقيم الحكم على تجربته بما اكتنفها من سلبيات قبل بدء الكفاح المسلح او جعل هذه السلبيات تغطي على كل إسهاماته وعطاءاته فيما بعد. إن ترجيح كفة الحكمة والعقل،

يقتضي طرحا موضوعيا ومتوازنا عند الحديث عن شخصية وطنية مثل عواتي"

• ويعود بنا المؤلف مرة ثانية الى الحديث عن المرحلة التي سبقت إعلان الكفاح المسلح، ويتطرق الى أجواء الغضب، وحالة الارباك والاحباط، والشعور بالمرارة والغبن التي كانت سائدة في أوساط كل الذين وقفوا في وجه المستعمر وقاوموا بكل ما لديهم حتى اللحظات الأخيرة. ويؤكد على انه ورغم فقدان التوازن وضياع الحق وما ساد من إرتباك حقيقي ، فان الفجيعة بفقدان الوطن، بالقدر الذي كانت صدمة مؤلمة ومحبطة للآمال، فإنها بالمقابل أجمت وبقوة المشاعر الوطنية وألبت الارتبيين أينما وجدوا على المزيد من الكراهية والعداء للمستعمر، والبحث عن بدائل متاحة لمقارعة ومواجهته بكل السبل الممكنة. كل ذلك عزز الإيمان بالقضية والاستعداد للنضال والتضحية في سبيل إستعادة الوطن المغتصب. ومن هنا يقول المؤلف انه أضحى جليا حين ذاك لمن أراد مواصلة النضال أن لا خيار له إلا خيار حمل السلاح ومواجهة العدو باللغة التي يفهمها.

• كتاب "ارتريا: من الفيدرالية الى الالحاق والثورة" يتحدث ايضا عن نضالات الشخصيات الوطنية ممن تصدرت المقاومة الوطنية وكل الوطنيين الأحرار الذين هبوا دفاعا عن الحق والوطن. ويشرح الكاتب الروح الوطنية المتقدمة التي تحلى بها هؤلاء الوطنيون، والتصميم على تأطير وتنظيم الصفوف لمواجهة المعتدين. وفي خضم شرحه لصلابة المقاومة الوطنية، يتطرق الى نضالات حزب الرابطة الاسلامية، وارتريا للارتبيين، وحزب ارتريا الحرة، وحركة تحرير ارتريا، ، وإضرابات العمال والنقابات، ومظاهرات الطلبة، ونضالات الارتبيين الذين كانوا يقيمون آنذاك في كل من السودان والقاهرة وإثيوبيا. ويوضح كم كانت عملية المقاومة صعبة، وكم كان ثمن استمرارها غاليا ومكلفا. إذ أن اي مواطن وقف في

وجه المستعمر، ورفض الاستكانة والإذلال، وقاوم كل أشكال الاستبداد والقمع، كان عرضة للاعتقال والتعذيب حيناً، والقتل رمياً بالرصاص والإعدام شنقاً أحياناً أخرى. في تقديري إن ذكر أسماء ونضالات أحرار تلك المرحلة، والحديث عن إسهاماتهم وكل ما بذلوه من جهد وتضحيات في سبيل إسترداد وطن مغتصب، يُعد مفخرة لنا جميعاً ولفتة مقدرة بل واجباً وديناً مستحقاً. وهنا يذكرنا الكاتب، بانه جدير بنا أن نتذكر هؤلاء، ونسرد كل ما ناضلوا من أجله بل ضحوا في سبيله. لأن ذلك في تقديري هو أضعف الايمان وهو أقل ما نستطيع فعله لمواطنين وهبوا ما يملكون من نفس ونفيس في سبيل رفعة وكرامة هذا الوطن.

• وفي مقابل هؤلاء، هنالك من سولت لهم أنفسهم ووقفوا الى جانب المستعمر وألحقوا أضراراً جسيمة بالشعب والوطن. لم يُهمل المؤلف هؤلاء، ولم يغض الطرف عما أقدموا عليه، ولم يغفر لهم لا أقوالهم ولا أفعالهم. وقف المؤلف مطولاً على مواقفهم، ورصد أفعالهم وممارساتهم، ووثق كل ما اقترفوه من جرم، وما ألحقوه من ضرر بحق هذا الشعب وهذا الوطن. استنكر وأدان كل ما أقدموا عليه ووصفه بالجرم المشهود. لقد ساير هؤلاء العدو، وباعوا أنفسهم بأثمان بخسة، وركعوا له وخدموه نهارة جهاراً الى درجة تسليمه ارتريا لقمة سائغة رغماً عن إرادة شعبها. ثم يتحدث المؤلف حول ما آل اليه حال هؤلاء بعد إلغاء الاتحاد الفيدرالي وإلحاق إرتريا بأثيوبيا وذلك في الباب ٢٦ تحت عنوان " الى أين آل حال من خدموا اثيوبيا" اذ يقول:

"ان الشخصيات الارترية التي كانت تتمتع بالسلطة المطلقة الى درجة القدرة على إعطاء ارتريا كهبة للأعداء وكأنها عروس في مقتبل العمر، اتسم سلوكها وفكرها بالسذاجة وضيق الأفق. ولا غرابة في شخصيات كان هذا حالها ان تنزلق الى ما انزلقت اليه من

تغيير لمسار التاريخ من منطلق حب الذات والمصلحة الشخصية المحضة. فالسذاجة وضيق الأفق، واللهث وراء السلطة والجاه أعمى بصيرتها، وأصابها في النهاية بالعمى السياسي".

• ومما لا شك فيه، إن كل الذين تعاونوا مع اثيوبيا وتنازلوا لها عن ارتريا طوعا بل قدموها كهبة على طبقٍ من ذهب، أقدموا على فعلتهم تلك لا لشيء إلا لضيق أفقهم ووضع مصلتهم الذاتية والآنية فوق مصلحة الوطن. أما إثيوبيا كانت تعلم ماذا تريد، وبأي اتجاه تسير، وكيف تحقق أهدافها الآنية والبعيدة المدى. إحتضنتهم ثم ابتزت مكامن ضعفهم، ولعبت بعقولهم. طوعتهم في بادئ الأمر ولبّت مطالبهم الآنية والشخصية، وأغرتهم بالسلطة والمال والجاه، وأطلقت لهم العنان ليفعلوا ما شاءوا ويعيثوا الخراب بالبلاد والعباد، ثم عكفت فيما بعد على إستخدامهم لمآربها وتمرير مخططها إن بالتحايل عليهم او باستغلال ضعفهم ونظرتهم الضيقة. وكما يقال " اذا أكلت البطن استحت العين" كانوا يغضون الطرف وهي تنتهك كل شيء وتقضم من كل شيء وتُمارس أعتى انواع العنف والارهاب بحق شعبهم ووطنهم. وحين كانت تستنفد حاجتها كانت وبدون مقدمات وبدون أدنى رحمة وشفقة تُبعدهم وتجردهم من كل شيء وتستبدلهم بآخرين أكثر ولاءً وأكثر خدمة لها. هذا ما حدث في عهد هيلي سلاسي ، وبذات الطريقة تكرر في عهد نظام الدرق. ومن المفارقات العجيبة ان كل الذين خدموا اثيوبيا وهللوا وكبروا لها سواء في عهد هيلي سلاسي او نظام الدرق، تراجعوا ولكن بعد فوات الأوان وتحسروا على افعالهم، وندموا على ما اقترفوه من جرم وما

ألقوه من ضرر بحق شعبهم ووطنهم. جميع هؤلاء عاشوا بقية حياتهم مكسوري الجانب، ذليلين معزولين، يلفهم الحزن والأسى على ما اقترفوه من أخطاء قاتلة أصابت البلاد والعباد في المقتل. ومن المفارقات العجيبة أيضا هناك اليوم بعد الاستقلال من اختاروا الوقوف الى جانب النظام الراهن في اثيوبيا "نظام الوياني" في محاولة لإعادة عقارب الساعة الى الوراء دون ان يتعضوا مما آلت اليه أوضاع من سبقوهم ومتجاهلين إما عن غفلة او جهل ما يعلمنا إياه التاريخ من عبر ودروس لم تمح بعد عن الذاكرة. حيث أن تجربتنا مع الأنظمة الاثيوبية المتعاقبة والممتدة لزهاء 100 عام واضحة ولا تحتاج عناء البحث والإجتهد. وقد قيل "لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين". لكن الشعب الارترى قد لدغ من قبل إثيوبيا مرات عدة، واكتوى بمؤامراتها ونيرانها الكثيرة في العديد من الأوقات . فالغافل وحده هو من يعيد تكرار ما اقدم عليه الأولون فيبتلع السموم دون ان يدري، والجاهل بالتاريخ يرقص في حبال اثيوبيا عن سذاجة وضيق الأفق، أما العارف بكل شيء ويتعمد في أفعاله يخوض غمار نزعته وإشتهائه للسلطة الى ان يصبح ضحية مآربه الشخصية وآفاه الضحلة. حكام اثيوبيا بدأ من هيلي سلاسي ثم الدرق وأخيرا الحكام الحاليون "الوياني" جميعهم حين جاءوا الى ارتريا وعدوا ارتريا بالسلام والامن والازدهار. ولما تقوى عودهم جحدوا تلك الوعود. يعلمنا التاريخ وحتى التجربة القريبة، بأن طبع حكام اثيوبيا هو ان ما يصرحون به وهم ضعفاء شيء، وما يقدمون عليه حين يقوى عودهم شيء آخر. يخلص ألم سقد تسفائي في تعليقه

على من خدموا نظام هيلي سلاسي في تلك الفترة الى ما يلي:.

"كانوا يأملون أن تكافئهم إثوبيا بالمناصب الرفيعة وتسلمهم زمام أمر ارتريا بعد إلحاقها اليها. كانوا، كلما يتلقون حفاوة الترحيب وكرم الضيافة في قصور الامبراطور، ويستمعون الى الوعود تلو الوعود كانوا يعتقدون أن ذلك هو ما سيحدث عند انتهاء المهام الموكلة اليهم بتسليم ارتريا الى إثيوبيا. هؤلاء جميعا أطاعوا الامبراطور هيلي سلاسي ووالوه، لكنهم لم يكونوا على قدر إستيعاب ألعيبه ودهائه السياسي".

• ينتقل كتاب "ارتريا: من الفيدرالية الى الإلحاق والثورة" بعد ذلك الى بدايات جبهة التحرير الارترية والتجربة العصبية التي مرت بها بسبب ما كان سائدا من حالة الارتباك والأجواء الملبدة بالتشكيك وعدم اليقين. ويشرح بالتفصيل البدايات بكل تفاصيلها، وما اعترى هذه البدايات من تحديات ومعوقات جمة. ثم يركز على تركيبة الجبهة ونهجها وكل المعوقات التي واجهتها. ويخلص في الباب ٢١ من الكتاب الى القول:

"التاريخ هو حصيلة مكان وزمان وقوع الحدث ودرجة الوعي في أوساط الشعب حينها. وعند الحديث عن تاريخ جبهة التحرير الارترية يتوجب أن نأخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار"

من هنا

• في هذا الكتاب نجد تحليلات مغايرة لهذه الخلاصة. حيث يتحدث بعض الباحثين عن بدايات جبهة التحرير الارترية وفكرها وما ساد في أوساطها من إتجاهات

وميولات، ويشككون في نهجها وينسبون مرد ذلك الى أسباب مختلفة حيناً ومختلفة حيناً أخرى. ودون الخوض في حيثيات حُججهم وتحليلاتهم وما توصلوا اليه من إستنتاجات وخلاصات، أجزم القول بأن تأسيس جبهة التحرير الارترية وإعلان الكفاح المسلح كان نقلة نوعية في تاريخ مسيرة النضال الوطني التحرري للشعب الارتري. ومن الطبيعي والمنطقي أن تتأثر جبهة التحرير الارترية بفكر مؤسسيها وميولاتهم السياسية، وكذلك بالأجواء السياسية التي كانت سائدة آنذاك سواء في ارتريا أو المنطقة بأسرها. أما التحليلات والاستنتاجات المغايرة لهذه الحقيقة فهي تُجافى المنطق بل انها تذهب بعيداً لتقنعنا بأنه "لا يجب على المولود ان يشبه والديه" أو "لا يجب ان يتأثر المرء بالمحيط الذي نشأ فيه". إن ما أورده هؤلاء الباحثون في هذا الكتاب عن بدايات الثورة وجبهة التحرير الارترية بشكل خاص ينطلق من مفاهيم مبيته معشعشة في عقولهم، وقناعات لا تمت الى واقع بداية الثورة بصلة. إنها تنطلق أولاً وأخيراً من مصالح آنية ضيقة تسعى الى الانتقاص من تجربة البدايات وممن تصدروها.

• خلاصة القول إن كتاب "إرتريا: من الفيدرالية الى الإلحاق والثورة" هو عصارة جهد من البحث والتعمق في حيثيات مرحلة عصبية من تاريخ ارتريا المعاصر. فالباحث والمؤلف الاستاذ/ ألم سقد تسفاي قد خط لنا كتاباً تاريخياً جديراً بالاهتمام والتقدير. التحية وكل الاحترام للاستاذ ألم سيد تسفاي. إن التمعن في صفحات هذا الكتاب وقراءته بتأنٍ وروية، وفهم الحقائق التاريخية المذكورة فيه فهما معمقا، هو أمر غاية في الاهمية والضرورة. حيث أن في طيات هذا التاريخ، الكثير من المعاني والكثير من الدلالات التي تساعدنا على الارتقاء بفهمنا وإستيعابنا لما جرى في تلك الحقبة الزمنية من تاريخنا

الحديث. فضلا عن ذلك ، فإنها تجربة غنية بما تحمله من حقائق ودلالات عميقة. والاكثر من ذلك فإنها تجربة غنية تنأى بنا من التعاطي مع المحاولات المحمومة اليوم لإعادة تكرار سيناريوهات الماضي، ولكن بقوالب جديدة، وأطر حديثة، وصياغات ولغة منمقة. وكما نعلم جميعا، إن عالم اليوم يمر بحالة من الارتباك والتخبط والاختلال في القيم والمعايير الدولية. حيث أصبحت ظاهرة إثارة القلاقل والفتن، وإفئعال النزاعات والصراعات ثم تأجيجها، وانتهاك القوانين الدولية والتلاعب بنصوصها، ثم تسخيرها لأغراض جيؤ إستراتيجية، أصبحت سمة هذا العصر. كما أن أدوات تطبيق هذه الظاهرة أضحت متطورة ومعقدة للغاية، وفوق ذلك فإنها مُحكمة وسريعة الى درجةٍ أصبحت فيه هذه الأدوات صعبة الاستيعاب والفهم حيناً، ومربكة ومخادعة في أحيان كثيرة. في ظل أوضاع دولية معقدة وحساسة كهذه، جدير بنا التعلم من عبر التاريخ بالعودة الى تجربتنا التاريخية الثرة، وبرصد سلوكيات وسياسات من يتربصون بنا اليوم شراً، وذلك لننأى بأنفسنا وبهذا الوطن من أهوال ما يضمره لنا الأعداء. عند قراءة هذا الكتاب يتوجب علينا الامعان ليس في الأحداث او الشخصيات التي يتناولها المؤلف والتواريخ ومواقع الحدث او نتوه في حيثياتها بل ينبغي التركيز على المواضيع التي يثيرها المؤلف وما تعلمنا من دروس لا غنى عنها. يتوجب علينا ان نكتب عن هذا الكتاب وناقش كنهه ثم نعلق على ما له وما عليه ونستخلص منه العبر بغية إثرائه وجعله وثيقة تاريخية حقيقية ينهل منها هذا الجيل والاجيال القادمة. لان التاريخ هو مدرسة قائمة بحد

ذاتها. والعبرة في تقديرى لا تكمن فى قراءة وتقليب صفحات هذا التاريخ، بل فيما ننهله منه من دروس وعبر تجنبنا المزالق التي لا تحمد عقباها. شكرا لكم جميعا، والنصر للجماهير.